مجلة الآداب

ر.د.م.د: ١٠١٨-٣٦١٢

دورية علمية محكمة تصدر عن جامعة الملك سع

arts-mag@ksu.edu.s

المجلد الثلاثون العدد(1)

يناير ٢٠١٨م ربيع الثاني ١٤٣٩هـ

دار جامعة الملك سعود للنشر
KING SAUD UNIVERSITY PRESS

دورية علمية محكمة
تصدر عن جامعة الملك سعود

المجلد الثلاثون – العدد الأول
ربيع الثاني ١٤٣٩هـ / يناير ٢٠١٨م

http://arts.ksu.edu.sa/journal-faculty-arts
arts-mag@ksu.edu.sa

دار جامعة الملك سعود للنشر
KING SAUD UNIVERSITY PRESS
ص.ب ٦٨٩٥٣ - الرياض ١١٥٣٧ المملكة العربية السعودية

المحتويات

أبحاث العدد

القسم العربي

- **الإطراء فعلًا كلاميًّا: دراسة في الأبنية التركيبيّة والأساليب التعبيريّة المستعملة في الفيسبوك**

ذكرى القبيلي و حاتم عبيد ٣–٢٩

- **«آسف جدًا يا صديقي»: أساليب الاعتذار لدى متعلمي اللغة العربية**

محمد ناصر الرياشي ٣١–٦٦

- **تجلّيات النزعة الخياميّة في قصيدة «الطّلاسم» لإيليا أبي ماضي**

أبو الحسن أمين مقدسي وصبري أحمديان و أبو بكر محمودي ٦٧–٨٨

- **تجليات نظرية نحو النَّص عند المفسرين: دراسة تطبيقية على أسلوب الحال في النَّظم القرآني**

علي سلامة عبدالحليم أبوشريف ٨٩–١١٢

- **التشكيل اللغوي في شعر عروة بن حزام**

حورية محمد العتيبي ١١٣–١٣٩

- **جهود «يوسف الخال» في حركة الحداثة النقدية**

عدنان علي محمد الشريم ١٤١–١٦٠

- **«النّخلة والجمل»: قراءة نقديّة**

عمر بن عبد العزيز السيف ١٦١–١٩٥

- **نداء الآخر في المقابلات الإعلامية في ضوء نظرية تحليل المحادثة**

عبدالرحمن الفهد ١٩٧–٢١٨

- **دور وسائل الاتصال في حملات الانتخابات النيابية في مملكة البحرين لعام ٢٠١٤**

علي أحمد عبدالله و شعيب عبدالمنعم ٢١٩–٢٥٨

القسم الإنجليزي

- **الاحتكاكية في الأصوات الساكنة والاشتقاقات الفونولوجية في اللهجة السبزوارية الفارسية: الطبقية أو التوازي في النظرية التفاضلية (الملخص العربي)**

مفلح القحطاني ٢

مجلة الآداب، م٣٠، ع١، ص ص ٣-٢٩، جامعة الملك سعود، الرياض (٢٠١٨/ ١٤٣٩هـ)

الإطراء فعلًا كلاميًّا: دراسة في الأبنية التركيبيّة والأساليب التعبيريّة المستعملة في الفيسبوك

ذكرى القبيلي(*) و حاتم عبيد(**)

(*) أستاذ اللسانيات المشارك بقسم اللّغة العربية وآدابها، كلّية الآداب، جامعة الملك سعود؛

(**) أستاذ اللسانيات بقسم اللّغة العربية وآدابها، كلّية الآداب، جامعة الملك سعود

(قدم للنشر في ٢٨/ ١/ ١٤٣٨هـ، وقبل للنشر في ١٩/ ٥/ ١٤٣٨هـ)

الكلمات المفتاحية : فعل كلاميّ، الأفعال الكلاميّة الإفصاحيّة، الإطراء، التعابير الإطرائيّة، التأدّب.

ملخص البحث: يتناول الباحثان في إطار تداوليّ ـ الإطراءَ بوصفه فعلًا كلاميًا يواظب المتكلّمون في أثناء التفاعل وفي مختلف الثقافات على إنتاجه واستهلاكه. وينطلق الباحثان من استعراض نتائج دراسات مهمّة تناولت هذا الفعل الكلاميّ في ثقافات غرْبيّة مختلفة من جهة الوظائف التي يُحقّقها، والأبنية التركيبيّة التي يجري فيها والمواضيع التي يدور عليها، والعوامل الاجتماعيّة المؤثّرة في إنتاجه وتلقّيه، وأنواع الأجوبة التي يُردّ بها عليه.

ويُفرد الباحثان القسم المهمّ من البحث لاقتفاء أثر الإطراء في العربيّة، استنادًا إلى واحد من أبرز مواقع التواصل الاجتماعيّ، نعني بذلك الفيسبوك الذي يُعدّ ـ في تقدير الباحثيْن ـ ساحةً حيّةً مكّنتهما من رصد المستعمل من التعابير الإطرائيّة، وتبيّن مختلف أصنافه وأبنيته التركيبيّة وأساليبه التعبيريّة. وينتهي الباحثان إلى أنّ للناشطين على شبكة الفيسبوك طرائقَ يعبّرون بها عن إعجابهم بالعربيّة لا تخلو من تنوّع وإبداع، على خلاف ما بدت عليه الملفوظات الإطرائيّة في دراسات غربيّة غير قليلة- من اقتراب إلى الصيغ المنمّطة، لنزوع العبارة والتركيب، في تلك الملفوظات، إلى التشابه والتنميط.

The Speech Act of Compliment: A Study of Syntactic Constructions and Expressional "Styles Used on Facebook standard science"

Hatem Obid ; Zekra Al kabeli
The Department of Arabic and its Literature - College of Arts ,
King Saud University, Riyadh, Saudi Arabia

(Received 28/1/1438H; Accepted for publication 19/5/1438H)

Keywords: speech act, expressives, compliment, expressions of compliment, politeness.

Abstract: The researchers have dealt with compliment alternately, describing it speech act that speakers are keen on producing and using in interactions across different cultures. The researchers began with exposing the outcomes of interesting studies which examined this speech act in variety of western cultures in term of the function that it fulfills, the structural constructions that scaffold it, the topics that it revolves around, and the types of responses that answer it.

The researchers dedicated the important section of the research paper to track the behaviour of compliment in the Arabic language, based on the most important social media, Facebook, which is considered by the researchers as a dynamic arena that enabled to spot the used expressions of compliment and to figure out the variety of its genres, structural constructions, and expressional styles.

The researchers concluded that Face bookers have their own ways to express their appreciation using Arabic, which proved to be eclectic and creative contrary to what the expressions of compliment seem to be, in numerous western studies, nearly as clichés viewing the proclivity of the terms and structures in those expressions toward sameness and typology.

١ ـ الإطراء في الدراسات الغربيّة

(١,١) منزلة الإطراء في نظريّة الأفعال الكلاميّة ونظريّة التأدّب:

يصنّف أوستن (Austin) الأفعال القريبة من الإطراء في باب السلوكيّات (behabitives)، التي يعبّر القائل من خلالها عن موقف تجاه سلوك الآخرين وآرائهم. ويضرب مثالًا على ذلك عددًا غير قليل من الأفعال، شأن (اعتذرَ، وشَكر، وهنّأَ، ورحّبَ)، (Searle, 1976 : ٧). أمّا سيرل (Searle)، فمكان الإطراء في القسمة البديلة التي يقترحها نوع من الأفعال الكلاميّة اصطلح عليه بالإفصاحيّات (expressives)، التي يكون مدار القوّة المضمّنة فيها على تعبير القائل عن حالة نفسيّة أو إفصاحه عن مشاعره تجاه واقعة مّا يستلزمها مضمون الفعل الكلاميّ. ويدرج سيرل في جدول الأفعال الإفصاحيّة عددًا من الأفعال لا نجد ضمنها الفعل أطرى، ولكن نجد أفعالًا أخرى قريبة منه، نعني بذلك (شَكرَ، وهنّأَ، واعتذرَ، وعزّى، واستنكرَ، ورحّبَ).

وينبّه سيرل إلى أنّنا لا نجد في هذا الصنف من الأفعال الكلاميّة اتّجاهًا تسير نحوه الملاءمة التي يسعى القائل إلى إيجادها بين اللّغة والعالم الخارجيّ. فالقائل حين ينجز عملًا من هذه الأفعال الكلاميّة لا يسعى إلى أن يجعل العالم يطابق كلامه، شأن ما يحدث في الوعديّات (commissives). وليس من غايته أيضًا أن يجعل كلامه يطابق العالم، مثلما هو الحال في التمثيليّات (representatives). والأقرب إلى حقيقة هذا الصنف من الأفعال الكلاميّة أنّنا نفترض مسبقًا صدق القضيّة المعبّر عنها. فأنا حين أعتذر لك عن دوسي إصبع قدمك، ليس من غرضي أن أدّعي أنّ إصبعك تمّ الدوس عليها. لا، وليس من غايتي أن أجعل الأمر كذلك. (Ibid: 12).

والإطراء عند ليتش (Leech) يكون بسبب من التأدّب غير أنه لم يقدّم لنا تعريفًا دقيقًا له، "بل اكتفى بالإشارة إلى وجود شكل من التأدّب سلبيّ يقوم على التقليل من التعابير التي يعتقد أنّها من قلّة التأدّب والتي لا تخدم السامع، وشكل آخر من التأدّب إيجابيّ مداره على الترفيع من التعابير التي يعتقد أنّها من باب اللّباقة والتأدّب والتي تكون في صالح السامع" (عبيد، ٢٠١٤: ١٥ ـ ١٦). فالإطراء إذن من التأدّب الإيجابيّ. وهو عند ليتش في صنف الأفعال البهيجة (convivial acts)، التي يمثّل لها بالتهنئة. وهذه الأفعال البهيجة تحمل في حدّ ذاتها مقصدًا يطابق المقصد الاجتماعيّ من التفاعل المتمثّل في إيجاد قدر من الاحترام المتبادل بين المتكلّمين، ومن ثمّ الإسهام في أن يجري التفاعل بين المتكلّمين في كنف الودّ والتفاهم. ويقابل هذا الصنف من الأفعال عند ليتش صنف ثان يطلق عليه مصطلح الأفعال التنافسيّة (competitive acts)، شأن الأمر والسؤال والطلب والاعتذار. وهي أفعال يكون

التعارض واضحًا بين القوّة المضمّنة فيها والمقصد الاجتماعيّ الذي تجري إليه عمليّة التواصل. وهو ما يقتضي من المتكلّم تهذيب تلك الأفعال للتقليص من الفظاظة الموجودة فيها (Leech, G. N., 1983: 105).

والإطراء في منوال براون وليفنسون واحد من أفعال كلاميّة كثيرة تحمل في طبيعتها خطرًا يهدّد إمّا وجه السامع وإمّا وجه المتكلّم. وهو إن نظرنا إليه من جهة أنواع ماء الوجه المستهدفة، ألفيناه مذكورًا في قائمة الأفعال التي تهدّد ماء وجه السامع السلبيّ على وجه التحديد، لما تعبّر عنه من رغبة المتكلّم في شيء يمتلكه السامع. فالمتكلّم يُطري سامعه للتعبير عن إعجابه به أو ليغبطه عن شيء يمتلكه. وهو إشارة من بعيد يلتقطها السامع ليحمي ذاك الشيء الذي يرغب فيه المتكلّم، أو ليتنازل له عنه Brown & Levinson, (1987: 66).

والإطراء في كتاب أوروكيوني الدائر على "الأفعال الكلاميّة صلب الخطاب"، فعل كلاميّ ذو خطورة عالية، سواء نظرنا إليه مِن جهة مَن يُنتجه، أي المُطري أو مِن جهة مَن يتقبّله، أي الممدوح. ففي إنجاز هذا الفعل الكلاميّ معادلة صعبة نلخّصها في السؤال الآتي: كيف تُطري مخاطَبك، من غير أن تُشعره بأنّ في إطرائك تملّقًا أو مصلحة تكمن وراء ذلك العمل. وحرج الممدوح مضاعف. والمعادلة التي يُواجهها صعبة أيضًا: فقبولك الإطراء يعني ـ من جملة ما يعني ـ أنّك تخرق قاعدة التواضع، وتسمح لمن يُطريك بأن يخترق الفضاء الخاصّ بك. وفي رفضك الإطراء إيقاع فعل كلاميّ ربّما يُلحق إساءة بالـمُطري الذي يتأذّى من كونك رددتَ عليه هديّته (orecchioni, C., ـ kerbrat 77: 2003 ـ 78).

وقد تناولت أوروكيوني الإطراء في كتاب "الخطاب التفاعليّ" من زاوية أخرى (orecchioni, C., ـ kerbrat 196: 2005). إذ جاء حديثها عنه في إطار نقد منوال التأدّب عند براون وليفنسون والدعوة إلى "توسيع حدود هذا المنوال، حتّى نفسح فيه مكانًا لنوع آخر من الأفعال الكلاميّة التي لا تشكّل بطبعها خطرًا على ماء الوجه، بقدر ما هي معزّزة له كالشكر، والتهنئة، والإطراء. وقد رأت أوركيوني من الضرورة بمكان أن تضيف إلى منوال (B&L)، مصطلحًا جديدًا لتعيين هذه الأفعال، ألا وهو مصطلح الأفعال المطرية ماء الوجه (face flattering acts)، والمقصود بالإطراء في هذا المصطلح معنى التثمين الذي يقترب من مصطلحات أخرى جرّدها باحثون آخرون، من قبيل الأفعال المعزّزة ماء الوجه (face enhancing acts)، والأفعال الرافعة من قدر ماء الوجه (face boosting acts). وهكذا لم يعد منوال التأدّب قائمًا على قدم واحدة، بل أمسى هناك معادلٌ إيجابيّ للأفعال التي تهدّد ماء الوجه، وتوازنٌ بين تأدّب سلبيّ مداره على تلطيف الأفعال التي تهدّد ماء الوجه والتعبير عنها بطريقة

خفيّة من جهة، وتأدّب إيجابيّ يتمثّل في القيام بأفعال تعزّز ماء الوجه واستعمال أدوات تسم تلك الأفعال وتشـــدّد عليها من جهـــة أخرى (عبيد، ٢٠١٤: ٤٠-٤١).

(١ ,٢) في تعريف الإطراء:

تعرّف هولمز الإطراء بأنّه فعل كلاميّ يحتوي صراحة أو ضمنيًّا على إسناد مفخرة من المفاخر إلى شخص آخر غير المتكلّم يكون في الغالب هو المخاطَب. وتكون علّة ذلك الإسناد خصلة (شيء يمتلكه المخاطَب، خصـــائص يمتاز بها، مهارة يتمتع بها...)، يقدّرها كلٌّ من المتكلّم والمخاطَب تقديرًا إيجابيًّا. والمخاطَـــب يظلّ هو المعنيّ بالإطراء، حتّى في الحالات التي يبدو فيها الإطراء مُحيلًا على طرف غائب. وهاكم المثال الذي تضربه هولمز:

(١) أ- المتكلّم: يا له من صبيّ مهذّب!

- المخاطَب: شكرًا جزيلًا. ها نحن نبذل ما في وسعنا.

ففي هذا الملفوظ مفخرة أُسندت على نحو غير مباشر إلى المخاطَب، إذ فيها إشارة إلى أنّه عرف كيف يُحسن تربية طفله، ومن ثمّ كان أبًا صالحًا. وهذا سبب كافٍ لكي يُحمل هذا الملفوظ على أنّه إطراء للمخاطَب (Holmes, 1988a: 485).

وقد استوحت أوروكيوني من هذا التعريف تعريفًا غير بعيد عنه. فالإطراء عندها يشمل كلّ تقرير تقويميّ إيجابيّ مداره على صفة من صفات المخاطَب أو خاصّية من خصائصه. فهو وفق هذا التصوّر ضرب من المدح موجّه إلى الشخص المعنيّ بالأمر. ولا تستبعد أوروكيوني بدورها وجود حالات يمكن أن يكون مدار ذلك العمل التقويميّ فيها على إحدى صفات شخص آخَر بينه وبين المخاطب علاقة قد تكون وثيقة، وربّما لا تكون كذلك (Kerbrat - Orecchioni, 2002).

والمستخلص من هذين التعريفين، أنّ من طبيعة هذا الفعل الكلاميّ - نعني الإطراء - كونه إيجابيًّا. فأنتَ حين تمدح شخصًا، تُثمّن وجهه الإيجابي، لأنّك تُقيم له الدليل على أنّك تهتمّ به وتُتابع ما يصنعه من فعل وما ينتجه من قول وما يتركه من أثر، وتلاحظ ما يطرأ على مظهره وهيأته من تغيّر. من هذ المنطلق اعتُبر الإطراء "هبة لغويّة" يَتّخذ منها المتكلّم أداة يُفاوض بها العلاقات الاجتماعيّة التي تربطه بمخاطَبيه. ويكون ذلك - أكثر ما يكون - في حالات التقرّب والتودّد من أشخاص بعيدين عنه، أو في حالات التطبيع وتمتين صلات قائمة، مثلما يكون ذلك حين يُظهر المتكلّم للآخرين أنّه يشاركهم أذواقهم واختياراتهم. وحتّى في الحالات التي يصدر فيها الإطراء عن شخص ذي مكانة عالية إلى من هو دونه مكانة، فالغالب على هذا الفعل الكلاميّ، أن يكون إشارةً يُرسلها المادح لغاية

تقليص المسافة وتجسير الفجوة، شأن ما يحصل أحيانًا بين مدير المؤسّسة وأحد العمّال. أمّا إذا كان اتّجاه الإطراء من اليد السفلى إلى اليد العليا، فالغالب على هذا الفعل الكلاميّ التملّق والمجاملة والهدف من ورائه التودّد والتقرّب.

(١ ,٣) في وظائف الإطراء:

للإطراء وظيفة أساسيّة يتّفق عليها الدارسون، ألا وهي تمتين عرى الصلة بين المتخاطبين على النحو الذي يشعرون فيه بأنّهم متكافلون ومتضامنون. فتعبير المتكلّم عن استحسانه مظهرًا من مظاهر السامع أو عن إعجابه بشيء يمتلكه، من العوامل التي تقوّي علاقته بذلك السامع. ولذلك اعتبرت هولمز الإطراء من الأفعال الكلاميّة ذات الأثر الإيجابيّ التي تستهدف المخاطَب والتي تصلح في الغالب لتعزيز العلاقة بين المتكلّم ومخاطَبه (Holmes, 1988a: 486). وللإطراء وظائف أخرى لا تقلّ أهمّية عن وظيفته الأساسيّة؛ فهو يرسّخ السلوك المرغوب فيه، ويُغري الأفراد به، حتّى يُقبلوا عليه، شأن ما يقوم به الأستاذ في القسم، حين يُطري أحد تلاميذه، ويهدف من وراء الإطراء إلى تحبيب صنيع ذلك التلميذ إلى زملائه، حتّى ينسجوا على منواله.

والإطراء طريقة يستعملها المتكلم إمّا لتعضيد فعل كلاميّ آخر وإمّا لتعويضه. ويكون ذلك أكثر ما يكون في أفعال كلاميّة أخرى، كالاعتذار، والشكر، والتحيّة، والترحيب. ومن استعمالات الإطراء الشائعة أن يكون طريقة يُخفّف بها المتكلّم حدّة النقد الذي يوجّهه إلى مخاطَبه. وفي مثل هذه الاستعمالات يرد الإطراء مشفوعًا بعبارات أو أدوات تفيد الاستدراك، ويُستشفّ منها أنّ الفعل الكلاميّ الذي يجيء بعد الاستدراك هو العمل الأساسيّ، وما الإطراء الذي سبقه إلا تمهيد يُراد به تلطيف النقد، حتّى لا يكون لاذعًا وموجعًا.

(٢) ـ أنت تُبلي بلاء حسنًا، ولكنّك تنسف جهود من سبقك.

والإطراء أيضًا من الوسائل التي يستعين بها المتكلّم على استدراج أحد الأفراد إلى أن ينخرط معه في محادثة. وفي هذه الحالة يكون الإطراء أسلوبًا ذكيًا يفتح به المتكلم شهيّة المخاطَب للحديث. ولا تستبعد والفسون وجود سياقات يُستخدم فيها الإطراء أداة للسخريّة والتهكّم (Wolfson, 1983: 86 ـ 93). ومثل ذلك قول المعلّم لتلميذ غبيّ:

(٣) ـ ذكاؤك فاق الحدود.

وإذا كان الإطراء في الوظائف الإيجابيّة السابقة، يُحمل على أنّه من إستراتيجيّات التأدّب الإيجابيّ التي تقوم على إظهار العناية برغبات المخاطب واهتماماته، ومن ثمّ تعزّز ماء وجهه الإيجابي، فإنّه في سياقات أخرى يمكن أن يندرج في إستراتيجيّات التأدّب

السلبيّ، عندما يُستخدم بطريقة يشعر فيها المخاطَب أنّ الإطراء عرقل حرّيته وأجبره على عمل من الأفعال (Brown & Levinson, 1987: 70). فقد يُحمل قول تلميذ لصديقه:

(٤) ـ تُعجبني الأقلام التي تكتب بها.

على أنّه طلب، إذا أعقبه ردّ فعل، من نحو أن يأخذ التلميذ المخاطَب أحد أقلامه، ويهب صديقه إيّاه. ففي مثل هذه الحالة، فُهم الإطراء على أنّه تعبير المتكلّم عن رغبته في شيء يمتلكه السامع. وهو ما قد يجعل السامع يفكّر في القيام بفعل يذود به عن حوضه، ومن ثمّ يحمي ذلك الشيء الذي مثّل موضوع رغبة السامع (Brown & Levinson, 1987: 66).

من هذا المنطلق، رأت هولمز أن الإطراء قد يترتّب على إنتاجه خطر يهدّد ماء وجه السامع، لما يمكن أن ينطوي عليه من رغبة دفينة تسكن المادح، وتفضحها العبارة المُطرية التي تشير إلى أنّ هناك شيئًا يمتلكه السامع، ويريد المتكلّم أن يستحوذ عليه (Holmes, 1988a: 486). فالإطراء في هذه الحالة، مزعج للسامع، وهو ضرب من التدخّل في شؤون الآخرين الخاصّة بهم. ولا يمكن للإطراء حين يكون من هذا القبيل إلّا أن يُسهم في عرقلة سير المحادثة.

وقد اعتبرت أوروكيوني الإطراء في بعض السياقات ضربًا من "الهديّة المسمومة" (un cadeau empoisonné)، أو قلْ هو دسّ للسمّ في العسل على حدّ العبارة العربيّة. فهذا الفعل الكلاميّ لا يخلو من خطر، سواء على من يُنتجه، أو على من يتلقّاه. والممدوح في مناسبات غير قليلة يراه دَيْنا وضعه المادح في رقبته، ومن ثمّ لا يستطيع أن يكون في حِلٍّ منه، إلاّ إذا كافأ المادح بمثل هديّته أو بأحسن منها. فالإطراء من تلك الهدايا التي تُحرج مَن يتلقّونها، سواء نظر الممدوح إليه على أنّه دَيْن أو على كونه تملّقا ينشُد من ورائه المادح مصلحة شخصيّة، أو وطرًا يريد أن يقضيَه (Orecchioni, 2005: 227 ـ Kerbrat).

(١ , ٤) مناويل الإطراء التركيبيّة:

يمكن الانطلاق ههنا من الدراسة الميدانيّة التي أجرتها الباحثتان والفسون وماينز والتي تناولتا فيها الإطراء عند عدد من المتكلّمين الذين تعدّ الإنجليزية الأمريكيّة لغتهم الأمّ. فقد كشفت هذه الدراسة عن نزوع عدد من الإطراءات التي يُنتجها أولئك المتكلّمون في سياقات متنوّعة إلى التشابه من حيث المعجم والتراكيب (Manes & Wolfson, 1981). وكان من أكثر المناويل التركيبيّة تواترًا في الأمثلة التي جمعتاها، ثلاثة مناويل يمكن أن نمثّل لها بالملفوظات الآتية:

(٥) أ ـ منزلك جميل.

ب ـ تُعجبني فصاحتك.

ج ـ إنّها تحفة هذه السيّارة.

ومن النتائج التي خلصت إليها المؤلّفتان، رجوع الإطراءات في الإنجليزيّة الأمريكيّة إلى فئتين كبريين: فئة نعتيّة وأخرى فعليّة. وقد لاحظت المؤلّفتان أنّ هناك خمسة نعوت تتكرّر في أكثر من ثلثي الفئة الأولى. وهذه النعوت هي: لطيف، وجيّد، وجميل، وحسن، ورائع. أمّا الأفعال الأكثر تواترًا في الفئة الثانية، فاثنان هما: أُحبّ ويُعجب [ني]. وقد التمست الباحثتان لاتّسام ملفوظات الإطراء بقلّة في التنوّع، مقابل جنوح إلى التشابه والتنميط في مستوى المعجم والتركيب، أسبابًا من أبرزها انتماء هذا اللّون من الأفعال الكلاميّة، نعني الإطراء إلى ما يُعرف بالصيغ المنمّطة، شأن صيغ التحيّة وتعابير الشكر والاعتذار. فالذي يبرّر نزوع هذه الصيغ إلى التنميط، شيوعها في المحادثات التي تجري أحيانًا بين متكلّمين قد تكون لهم خلفيّات مختلفة. ولولا ذلك التشابه والتعاود في الصيغ، لما تسنّى لهم التعرّف إليها بيسر، ومن ثمّ الاهتداء إلى معانيها. فانتماء الإطراء إلى فصيلة الصيغ المنمّطة، يُسرّع عمليّة فهم المتكلّمين بعضهم بعضًا، ومن ثمّ يُسهم في التفاعل الحاصل بينهم.

(١ ,٥) الموضوعات التي يدور عليها الإطراء

ترى والفسون وماينز أنّ الإطراء ـ إن نظرنا إليه من جهة ما يتمّ إسناده إلى السامع من حسن الصفات وطيّب الأفعال ـ ينقسم إلى نوعين: فهناك ما يدخل في باب التعليق على المظاهر التي تُبرز جهدًا بذله الممدوح، كي يظهر في معرض حسن شأن تسريحة شعره، والزينة التي يتّخذها. أمّا النوع الثاني فمداره على إطراء المهارات التي يمتلكها الممدوح (Manes & Wolfson, 1981). وقد جاءت دراسة هولمز التي تناولت فيها الإطراء في نيوزيلندا، تُثبّت هذه القسمة. إذ رأت الباحثة، استنادًا إلى البيانات والمعطيات التي تجمّعت عندها، أنّ معظم الإطراءات تدور في فلك عدد قليل من المواضيع التي تكون محلّ تعليق نعني بذلك: المظاهر والمهارات والأداء الجيّد والممتلكات وملمح من ملامح الشخصيّة وحُسن المعشر (Holmes, 1988b). ولا تكاد المواضيع التي يدور عليها الإطراء في ما يُنتجه المتكلّمون الإسبان حسب دراسة أخرى ـ تخرج عن هذه القائمة. فجزء كبير من الإطراء عند هؤلاء المتكلّمين دائر على صفات ظاهرة في الممدوح. وأكثر تلك الصفات التي يدور عليها التعليق ما كان طبيعيّا، أو قلْ خلْقيا، شأن زرقة العينين ورشاقة القدّ وكمال الجسم.

(١ ,٦) العوامل الاجتماعيّة المؤثّرة في الإطراء

انتبه الدارسون إلى أنّ إنجاز هذا الفعل الكلاميّ، بسبب عدد من المؤثّرات الاجتماعيّة،

كالجنس ونوع العلاقة القائمة بين من يُنتجه ومن يتلقّاه. فقد لاحظت ولفسون وماينز أنّ أغلب الإطراءات تتّجه إلى أفراد يشتركون والمتكلّم في الجنس وفي المنزلة، وأنّ معظم الإطراءات التي يُنجزها في أثناء التفاعل أفراد ذوو منزلة عالية، ويكون المقصودون بها أفرادًا دونهم منزلة، تدور أكثر ما تدور على مهارة السامع، وقلّ أن تتناول مظهرًا من مظاهره أو شيئًا يمتلكه. أمّا إذا كان مُنتج الإطراء دون متلقّيه منزلة فعلى الأرجح أن يتعلّق بالمظاهر والممتلكات (Manes & Wolfson, 1981).

والنساء حسب الدراسة السابقة يأتين قبل الرجال سواء في إنتاج الإطراء أو في تلقّيه في أثناء التفاعلات، ولاسيّما حين يتعلّق الإطراء بالملابس والمظاهر. نعم، إنّ حجم الإطراء الذي تُنتجه النساء وحجم ما يتلقّينه منه، أكثر ممّا هو موجود عند الرجال. وهو عندهنّ طريقة يعبّرن بها عن تضامنهنّ، وعن اللّحمة الموجودة بينهنّ. أمّا الذكور فلا يرون في الإطراء الأداة المثلى للتعبير عن تماسكهم. ولذلك تراهم ـ بالمقارنة مع الإناث ـ زاهدين أحيانًا في إتيان هذا الفعل الكلاميّ (Holmes, 1988b: 5 ـ 6).

(١ ,٧) جواب الإطراء:

من الواضح أنّنا مكتفون في هذا البحث بدراسة الإطراء، مؤجّلون النظر في جوابه في دارسة أخرى. وحسبنا ههنا أن نشير بسرعة إلى هذا الجزء المكمّل للجزء المتعلّق بالتعبير عن الإعجاب. أجلْ، يمثّل الإطراء جزءًا من زوج مجاور يُعرف بالتبادل الإطرائيّ الذي يتكوّن من تدخّل أوّليّ يتمثّل في إطراء يُنتجه المطري ويقصد به المخاطَب، ومن تدخّل يعقب الأوّل يكون من قبيل ردّ الفعل، ويتمثّل في الجواب عن الإطراء الذي ينتجه الشخص الممدوح، ويكون المقصود به الشخص المادح Orecchioni, ـ Kerbrat (1998: 201).

وتعدُّ بومرنتز من أوّل الدارسين الذين تناولوا هذا الموضوع. وقد أشارت في عملها الرائد إلى أنّ جواب الإطراء لا يخلو من مفارقة، لما فيه من تعارض بين قاعدتين من قواعد التخاطب. فأنتَ حين تتلقّى إطراء من الإطراءات، تكون بين نارين: أنْ تُجاري المتكلّم وتَقبل إطراءه من جهة، وأن تتجنّب الوقوع في ثناء الذات وتزكية النفس من جهة أخرى. لذلك يستعمل متلقّو الإطراء حيلًا متنوّعة للخروج من هذا المأزق، فقد يقلّلون من الثناء الموجّه إليهم، أو يردّون عليه بمثله. وحتّى الأمريكيّون أنفسهم لا يشذّون عن هذه القاعدة، على الرغم من أنّ معايير الخطاب عندهم تقرّ بأنّ الجواب المناسب للإطراء، أن تقول لمن أثنى عليك: شكرًا (Pomerantz, 1978: 81 ـ 82).

وقد مضى هاربر في هذا الاتّجاه، مصنّفًا جواب الإطراء في الإنجليزيّة الأمريكيّة ثلاثة أصناف تحت كلّ صنف تنضوي ضروب شتّى من الأجوبة. فالنوع

الأوّل من الأجوبة عنوانه الكبير القبول. ومن تنويعاته أن يعبّر الممدوح بإشارة تفيد الشكر، أو بتعليق يفيد الموافقة، أو أن يردّ على الإطراء بمثله. ومدار النوع الثاني على عدم قبول الإطراء. ويكون ذلك بطرق منها السؤال وعدم الاعتراف بما أُسند إليه من صفات إيجابيّة. أمّا النوع الثالث، فنجد فيه أجوبة لا تُفصح عن فحواها، إلاّ بعد التأويل. وقد أفضى تقليب هاربرت النظر في مدوّنته التي احتوت على عدد من أجوبة الإطراء في الإنجليزيّة الأمريكيّة إلى أنّ أغلب ما يردّ به الأفراد على الإطراء الموجّه إليهم، ينتمي إلى النوعين الثاني والثالث. وفي ذلك دليل على أنّ ما يقوله المتكلّمون على صعيد الواقع، كثيرًا ما يخرج عمّا تُمليه عليهم المعايير التي تحكم الاستعمال اللّغويّ والتي لو خضعوا لها، لاكتفوا مثلما أشارت بومرنتز سلفًا بعبارة: شكرًا (Herbert, 1986 : 77).

أما النتائج التي خلصت إليها هولمز ـ بعد فحص أجوبة الإطراء عند النيوزيلنديين ـ فتشير إلى أنّ النسبة الكبرى كانت من نصيب الأجوبة التي فيها موافقة على الإطراء. وبعد ذلك تأتي الأجوبة التي يُظهر فيها الممدوح تهرّبه وتملّصه من الإطراء. أمّا أجوبة الرفض، فقليلة لا تتعدّى نسبتها العشر (Holmes, 1988a).

وقد درست دايكوهارا الإطراء في التفاعلات اليابانيّة. ولمّا قارنت ما انتهت إليه بالنتائج التي خلصت إليهما ماينز ووالفسون في دراستهما حول الإطراء في الإنجليزيّة الأمريكيّة، وقفت على اختلافات غير قليلة سواء فيما يتعلّق بالمناويل التركيبيّة التي يجيء عليها الإطراء، أو بالصفات التي تكون موضوع إطراء، أو بوظيفة الإطراء، أو بأجوبته. وكان جواب الإطراء من أكثر ما اختلفت فيه الدراستان. نعم، لقد كشفت دراسة دايكوهارا عن أنّ نسبة عالية جدًا من أجوبة الإطراء (٩٥٪)، كانت من نصيب تلك الأجوبة التي يتجنّب فيها الممدوح الإطراء. ولم تستأثر الأجوبة التي يعبّر فيها الممدوح عن قبوله الإطراء، إلاّ بنسبة ضئيلة جدّا (٥٪). وممّا كشفت عنه هذه الدراسة أيضًا استخدام اليابانيّين إستراتيجيّات في منتهى التنوّع، عندما يتملّصون في أجوبتهم من تزكية نفوسهم. فتراهم في الغالب يُجيبون بالنفي، قائلين: "لا، لا" أو بكلام قريب من ذلك: "هذا ليس صحيحا"، وفي مناسبات أقلّ يكتفون بالابتسام أو يكفّون عن الجواب، وفي سياقات أخرى يعبّرون عن تهرّبهم بالسؤال الذي فيه تشكيك في مدى أحقيّتهم بما أسند إليهم من مفاخر، قائلين: "هل تظنّ ذلك؟".

وقد ربطت دايكوهارا الأمر بالوظائف التي ينهض بها الإطراء في المجتمع الياباني والتي من أهمّها إظهار الاحترام والتقدير، على نحو يخلق مسافة بين المتكلّمين. وهذه المسافة التي تقوم بموجب الإطراء الذي يوجهه المادح إلى شريكه في الكلام، يجب

تجسيرها من طرف متلقّي الإطراء. ومن هنا يكون الإنكار طريقة يوثّق بها متلقّي الإطراء عرى الصلة بينه وبين المادح، حتّى يسود الانسجام ساعة اللّقاء والتفاعل. أمّا الإطراء عند الأمريكيّين الذين تمثّل الإنجليزيّة لغتهم الأمّ، فيجري إلى غاية أخرى، ألا وهي تعزيز التضامن بين المتفاعلين، وإيجاد خلفيّة مشتركة تجمعهم. وهو ما يفسّر مجيء أغلب أجوبة الإطراء عندهم في أشكال تعبّر عن الموافقة وقبول الإطراء (Daikuhara, 1986).

واضح إذن، أنّنا أمام اختلاف ثقافيّ يؤثّر في الكيفيّة التي يردّ بها الأفراد على الإطراء. فإذا كان الردّ الطبيعيّ على الإطراء في الإنجليزيّة القبول والشكر للمادح ثناءه، فإنّ من طبيعة الياباني المتأثّرة بثقافته أن يردّ على الإطراء بنكران الذات. وقد اعتبر ميزوتاني ورود جواب الإطراء على هذه الشاكلة ممّا تقتضيه آداب التأدّب عند اليابانيّين الذين لا يمكن لهم البتّة أن يقبلوا الإطراءات من غير أن يقولوا: لا (Mizutani, 1987 : 43). فالصيغة النمطيّة والشائعة في المجتمع الياباني وفي مجتمعات أخرى، مثل المجتمع الصينيّ، وحتّى المجتمع البولنديّ، أن ترِد على هذا النحو الذي نجده في الحوار الآتي:

(٦) ـ أ ـ أنتِ بالفعل طبّاخة ماهرة!

ب ـ لا، لا، أنا لا أعرف حقّا كيف أطبخ الطعام بشكل جيّد.

أ ـ أرجوك، لا تُبالغي في التواضع. أنتِ ـ حقًّا وصدقًا ـ تُبدعين في الطبخ.

ب ـ أنتَ لطيف جدا؟

(٨,١) الإطراء ظاهرة كونيّة وثقافيّة في آن معًا:

لعلّ من أهمّ ما نخرج به من هذه البحوث التي درست الإطراء في ثقافات مختلفة، فوقفت على ما ينهض به من وظائف، وما يدور عليه من مواضيع، واستخرجت أبرز الأبنية التركيبيّة التي يجيء عليها وأهمّ العوامل الاجتماعيّة المؤثّرة في إنتاجه وتلقّيه وصنّفت أجوبته وردود أفعال من يتعرّضون لهذا الفعل اللّغويّ، لعلّ أهمّ ما نخرج به من هذا كلّه أنّ الإطراء ظاهرة كونيّة وثقافيّة في آنٍ معًا. فمن الصعب أن يتجرّد مجتمع من هذه الظاهرة. ومن المحال أن يستغني الكائن البشريّ عن تلك "المداعبات اللّفظيّة" التي هو في أمسّ الحاجة إليها بين الحين والحين، حتّى يشعر بقيمة ما يمتلك وأهمّية ما يُنجز. في هذا تشترك الشعوب والثقافات. وفي كثير من الدقائق والتفاصيل تختلف. فما من شكّ عندنا في أنّ لكلّ ثقافة طرائق يعبّر بها أفرادها عن إعجابهم، وأجوبة عن الإطراء تَفهم من ورائها مواقف أولئك الأفراد من هذه الظاهرة كيف يتحرّج أبناء هذه الثقافة منها ويقتصدون في إنتاجها واستهلاكها، بينما يُواظب غيرهم في ثقافات أخرى على إتيانها. فهي عندهم كالماء والهواء تنتعش بها

العلاقة في أثناء المحادثات. غيابُها يلفت الأنظار. والمُعرض عن إنجازها يُنعتُ بالبخل وبعدم الاكتراث بالآخرين.

٢. الإطراء في العربيّة

ما من شكّ عندنا في أنّ المجتمعات العربيّة لا تمثّل استثناء في هذا الباب، وأنّ الإطراء ليس ظاهرة نستأثر بها دون سائر الشعوب، ولا هو بالفعل الكلاميّ الذي لا مكان له في قائمة الأفعال الكلاميّة التي ينجزها العربيّ. بل إنّ الإطراء سلوك قوليّ مترسّخ في ثقافتنا. فنحن مثل غيرنا ـ لا ننفكّ نُعبّر عن إعجابنا في أثناء التفاعلات القوليّة. وإذا كان ثمّة شيء نختلف فيه عن الثقافات الأخرى، ففي كيفيّة جريان الإطراء في صيغ وتعابير قد لا نجد لها ما يماثلها عند سائر الشعوب. وحسبك أن تستحضر شعر المدح، حتّى تُدرك كيف يضرب هذا الفعل الكلاميّ في التاريخ بجذور، وكيف تحوّل الإطراء من قديم الزمان إلى غرض شعريّ أبدع فيه العرب أيّما إبداع، حتّى أصبح من أهمّ أغراض الشعر عندهم يتحوّل الإطراء فيه إلى بلاغة يُمدَح مَن يُجيدها ويَملك ناصيتها، إذ ينقلب الممدوح بدوره ـ على ما تنقله إلينا كثير من أخبار الشعر ـ مُطريًا لمن أثنى عليه ومدحَه، حين تُعجبُه القصيدة، ويكون موضوع إطرائه قدرة الشاعر على الإطراء.

(٢,١) الإطراء في مواقع التواصل الاجتماعيّ: الفيسبوك أنموذجًا

ما من شكّ عندنا أيضًا في أنّ وسائل التواصل الاجتماعيّ التي اكتسحت حياتنا المعاصرة عزّزت هذا الفعل الكلاميّ، ومثّلت عاملًا بارزًا ومهمًّا في تشجيع الأفراد على إنتاجه، وفي توسّعه وامتداد رقعته وتلوّن صوره وتعدّد لغته. وحسبُنا أن نُقلّب النظر في موقع الفيسبوك (Facebook) من جهة تصميمه وما احتواه من أركان وأيقونات، حتّى نُدرك بيسر أنّ هذا الفضاء الإلكترونيّ يُغري مُشتركيه بإنتاج الإطراء واستهلاكه في كلّ آن وحين. فهذا الموقع يتيح للمشترك فيه أن ينشر ما يرغب في نشره. ووجود الأصدقاء على صفحة المشترك، تُتيح لهم التعليق الفوريّ على تلك المنشورات تعليقًا يأتي في أغلب الأحيان في شكل إطراء، لاسيّما حين يكون المنشور لصيقًا بذات المشترك مُحيلًا عليه، وأحسن مثال على ذلك صور المشتركين أنفسهم ينشرونها على صفحاتهم، فتأتي التعليقات بالعشرات، وأحيانًا بالمئات تُطري أصحابها وتُثني على وسامتهم وأناقتهم وعلى الأنشطة التي تُظهرهم تلك الصور وهم يقومون بها.

نعم، إنّ في تصميم الصفحة الفيسبوكيّة ما يُزيّن للمشتركين إنتاج الإطراء ويستدرجهم إليه. كيف لا ينخرط أصدقاء المشترك في الفعل الكلاميّ، وتحت

كلّ مربّع مخصّص للنشر خيارات ثلاثة تدعوك إمّا إلى الإعراب عن إعجابك بما نشر (like) وإمّا إلى التعليق عليه (comment) وإمّا إلى تقاسمه مع أصدقائك (Share). ولسنا نستبعد أنّ إضافة تلك الأيقونات المتمثّلة في وجوه تعبّر عن ستّة تعابير مختلفة كلّ واحد منها يمثّل ردّ فعل على المنشور (أحبّه، ويُعجبني، ويُضحكني، ويُدهشني، ويُحزنني، ويُغضبني)، لسنا نستبعد أنّ إضافة مثل تلك الأيقونات صدرت، من جملة ما صدرت عن استجابة من مُصمّمي الموقع لما صار يشعر به مشاركو الفيسبوك من قلّة أنواع ردود الأفعال التي تُتاح لهم في الصفحة والتي كادت، قبل إضافة تلك الأيقونات، تنحصر في التعبير عن الإعجاب، إمّا تعبيرًا صريحًا تُخصّص له مساحة تُعرف بالتعليق وتُستخدم فيه ألفاظ اللّغة ويظهر فوقه اسم المعلّق، وإمّا تعبيرًا غير صريح يُكتفى فيه بالضغط على إحدى الأيقونتين: يعجبني أو أشارك أصدقائي فيه.

واضح إذن، أنّ الأيقونات الأربع الأخيرة، والأيقونة السادسة على وجه أخصّ، أصبحت توفّر للمشاركين في الفيسبوك ضروبًا أخرى من ردّ الفعل على ما ينشره أصدقاؤهم بطريقة ترفع عنهم الحرج الذي كانوا يجدونه في التعبير عن عدم رضاهم أو غضبهم عمّا ينشر تعبيرًا لم يكن متاحًا لهم، إلاّ بالكلمات داخل الخانة الموسومة بـ"تعليقك".

من هذا المنطلق، بدا لنا هذا العالم الافتراضيّ ساحةً حيّةً لاقتفاء أثر الإطراء، ورصد المستعمل فيه من الأقوال والعبارات وتبيّن مختلف أصنافه ومدى التنوّع في صيغه وتعابيره. والذي يقيم الدليل على تأهّل الفيسبوك، لكي يكون سبيل الباحث إلى دراسة هذا الفعل الكلاميّ، انخراط أعداد هائلة من المشتركين فيه تُعدّ بالملايين، وتمثّل شرائح المجتمع ومختلف فئاته أحسن تمثيل. فأنت واجدٌ على صفحات الفيسبوك مشتركين من الجنسين، ومن مختلف الأعمار ومن طبقات اجتماعيّة شتّى. فهو أشبه بالسوق العامّة أو الشارع الفسيح يتّسع لكلّ الناس، وتجد فيه من كلّ من هبّ ودبّ.

ومن فوائد هذا الفضاء الإلكترونيّ في دراسة الإطراء أنّه يوفّر لك الفرصة كي تعاين هذا السلوك القوليّ، وهو يجري في دوائر مختلفة من التواصل الحاصل على المستوى الأسريّ، وبين الأصدقاء الحميميّين والعاديّين، وبين زملاء العمل وبين الجيران وبين الأصدقاء القدماء والجدد... وهو بهذا يشكّل صورة حقيقيّة وناطقة عن الواقع اللّغويّ، وما يستعمله المتكلّمون من أساليب، وما يبتكرونه من عبارات وما يُبدعونه من صيغ متنوّعة نحاول في القسم الموالي من البحث أن نكشف عنها وعن الموادّ اللّغويّة المستخدمة فيها، متوقّفين في مرحلة أولى عند أنواع الملفوظات الإطرائيّة، وفي مرحلة ثانية عند أبرز

الأبنية والتراكيب التي يتأدّى بها الملفوظ الإطرائيّ في العربيّة، وفي مرحلة ثالثة عند أساليب الإطراء التي يكون الإبداع فيها أوضح والتفنّن في التعبير عن الإطراء أبرز، مُعتمدين في ذلك أمثلة استقيناها من صفحاتٍ أغلبُ أصحابها من المثقّفين والجامعيّين سواء كانوا أساتذة أو طلابًا، وحرصنا من باب الأمانة، ألاّ تمتدّ يدُ الإصلاح إلى الشواهد مهما كان نوع الخطأ الموجود فيها.

(٢ , ٢) أنواع الملفوظات الإطرائيّة:

يمكن تصنيف الملفوظات الإطرائيّة من جهة التصريح بالعمل المضمّن فيها أو عدم التصريح به إلى نوعين اثنين:

(٢ , ٢ , ١) الملفوظات الإطرائيّة المباشرة:

وهي تخصّ صيغًا تعبّر عن القوّة المضمّنة في الملفوظ تعبيرًا مباشرًا لا يرتهن بالسياق ولا يُحوج الممدوح إلى بذل جهد تأويليّ، ليعرف أنّ المقصود بالكلام إطراء موجّه إليه، كقول أحدهم:

(٧) ـ هنيئًا لك صدور هذه الدراسة القيّمة.

والتعبير عن الإطراء تعبيرًا صريحًا يتحقّق أكثر ما يتحقّق في الملفوظات التي تكون من قبيل الجمل التقريريّة والتي تحتوي على أحكام إيجابيّة تُستخدم في التعبير عنها النعوت والظروف والأفعال.

(٨) ـ هذا من ذوقك الجميل والرايع.

ب ـ عيشتنا أروع اللحظات.

(٢ , ٢ , ٢) الملفوظات الإطرائيّة غير المباشرة:

يكون الإطراء غير مباشر حين يستعير المتكلّم من أجل أدائه أشكالًا وصيغًا تُستخدم في إنجاز فعل كلاميّ آخر، على شاكلة ما يحدث في السؤال الذي يستشهد به الدارسون، كلّما أرادوا التفريق، داخل الأفعال الكلاميّة غير المباشرة، بين ما هو اصطلاحيّ لا يحتاج السامع إلى جهد تأويليّ للتعرّف إلى القوّة المضمّنة فيه لكثرة شيوعه، وما هو غير اصطلاحيّ لا يفهم السامع العمل الذي يريد المتكلّم إيقاعه إلاّ بعد كدّ الخاطر.

(٩) ـ هل لك سيّارة؟

فمثل هذا الملفوظ الذي جاء في قالب سؤال يكون حاملًا "لقيمة الطلب عند المتكلّم. ويمكن أن يؤوّله المتقبّل على أنّه عرض" (ب. شارودو ـ د. منغنو، ٢٠٠٨: ٢٤).

وقسْ على ذلك في الإطراء. فقول أحدهم معلّقًا على صورة أحد أصدقائه:

(١٠) ـ وردة فوّاحة.

جملة اسميّة خبريّة مبتدؤها محذوف: أنتِ. وظاهر القول فيها إثبات. والفعل الكلاميّ الذي تحقّقه في الظاهر مِن صنْو الأفعال التقريريّة. ولكن جرت العادة أن يُحمل مثلُ هذا الملفوظ، وإن اختلفت السياقات التي يرد فيها، على أنّه كلام مادح. وفي هذه الحال، نحن نستخدم صيغة تقريريّة

لإنجاز عمل من نوع الإطراء. وما من شكّ في أنّ هذا الفعل الكلاميّ أُنجز بطريقة غير مباشرة، ولكنّ الصيغة التي استُعملت للتعبير عنه تُعدّ اصطلاحيّة، أي هي ممّا شاع استعمالُه، وتواضع مستخدمو اللّغة عليه. ومن ثمّ لم يعد ينجُم عنه سوء تفاهم نتيجة خطأ في تأويله.

وعلى خلاف هذه الصيغ الاصطلاحيّة، ترتبط الصيغ والتعابير غير الاصطلاحيّة بسياقات محدّدة، ويحتاج تأويلُها إلى جهد مضاعف للاهتداء إلى قيمتها التداوليّة المقصودة، لأنّها لا تنضوي ضمن دائرة المشترك بين أفراد اللّغة، ولا تمثّل بالضرورة جزءًا من الذخيرة التلفّظيّة التي يكون في مقدور كلّ متكلّم أن يفعّلها ويستحضرها ويستعين بها في فهم تلك الملفوظات الإطرائيّة غير الاصطلاحيّة.

وليست الحدود بين الصيغ الإطرائيّة غير المباشرة الاصطلاحيّة وتلك التي لا تكون اصطلاحيّة، واضحة في كلّ الحالات. بل إنّ تقبّل الصيغة الواحدة يختلف بحسب الأفراد والجماعات. فعدد من الصيغ الإطرائيّة غير المباشرة تنتشر في فئة المراهقين، وتغدو لفرط استعمالها فيما بينهم اصطلاحيّة. فإذا استعملت في فئة الكهول، أصبحت غير كذلك، ووجد الممدوح صعوبة في فهمها. فممّا وجدنا المراهقين يعلّقون به على صور أصدقائهم على الفيسبوك هذه التعابير التي لا نخال أنّ من تقدّمت بهم السنّ يفهمون بيسر فحواها:

(١١) ـ أ ـ سخطه

ب ـ تفتّقْ

ج ـ شنايعْ

د ـ تحطيم

ولا شكّ في أنّ هذه التعابير تصبح بفعل الاستعمال والتقادم من المشترك وممّا يدخل في الكفاءة الاجتماعيّة والتداوليّة التي يمتلكها أفراد الجماعة اللّغويّة، والتي بفضلها يتسنّى لكلّ متكلّم يحذق عادات الجماعيّة الخطابيّة أن يعرف أنّ الإطراء هو العمل المقصود من ملفوظات مثل هذه الملفوظات، مهما تستّر بأقنعة المجاز واختفى وراء صيغ ملتبسة:

(١٢) ـ أ ـ ارفع لك القبعة اجلالًا وتقديرًا.

ب ـ قامة عالية وقيمة ثابتة.

ج ـ من علّمك هذا الكلام؟

د ـ ماذا فعلت حتى تخرجنا من عقولنا؟

هـ ـ هل أنت بدر شاكر السياب؟

ولسنا نبالغ إذا قلنا إنّ للفيسبوك دورًا مهمًّا في إشاعة صيغ من الإطراء بين أفراد الجماعة تكون في البدء غير اصطلاحيّة وتستخدم أوّل ما تستخدم، في نطاق ضيّق، وبين عدد محدود من الأصدقاء، لتنتشر بسرعة، وتتّسع دوائر تبادلها بين الأصدقاء، وتصبح بعد ذلك، بفعل النشر السريع اصطلاحيّة.

(٢, ٢, ٣) الملفوظات الإطرائيّة المركّبة:

يتّصف هذا النوع من الإطراء بمجيئه في عدد من الملفوظات يعبّر فيها المتكلّم عن إعجابه تعبيرًا لا يكتفي فيه بإنجاز فعل كلاميّ واحد هو الإطراء، بل نجد، إلى جانب هذا العمل الرئيس، أفعالًا لغويّة أخرى تسبقه أو تأتي بعده. فمدار الأمر ههنا على فعل كلاميّ أكبر هو الإطراء، وأفعال كلاميّة صغرى مكمّلة له. ودور هذه الأفعال الصغرى يتمثّل بالأساس في تعزيز ذلك العمل الأكبر، حتّى يكون أداؤه ناجحًا، ولا تترتّب عليه آثار سلبيّة على المستوى العلائقيّ. فكأنّ المتكلّم - وهو يضيف إلى الإطراء أفعالًا لغويّة صغرى - يُحصّن عمله اللّغويّ الأكبر، ويُبطل مفعول الألغام التي يمكن أن توجد في طيّات الإطراء، ويبدّد الشكوك التي قد تحوم حول صدق هذا الفعل الكلاميّ الذي ينجزه، ويضمن بذلك قبول الممدوح الهديّة التي يقدّمها المطري إليه. والحقّ أنّ مسالك الجمع بين الإطراء والأفعال الكلاميّة كثيرة نجتزئ منها هذه الأمثلة:

- الإطراء + طلب معلومة حول موضوع الإطراء نفسه:

(١٣) - أ - رائع! من أين أتيت بهذه الأكلة؟

ب - عنوان يغري بالقراءة. أين أجد المقال؟

ج - متألّق دائمًا دكتور! هل نزل هذا الكتاب إلى السوق؟

- الإطراء + التعبير عن أمْنية:

(١٤) - أ - كلك ذووووق وأخلاق دكتوره ربنا يسعدك.

ب - إعتدنا إبداعاتك دكتور...وما زالت تتسلل إلينا من كل صوب وناح.. دام نبض قلمك وفكرك..

ج - يسعدك ربي يالغالى.. كلك ذوق ومن أفضل الناس إنت..

د - رائعة هي كتابتك. أتمنى أن أقرأك في رواية.

الإطراء + التعبير عن الشكر:

(١٥) - أ - شاكرين لك هذا الاختيار. ذوق عالي وحس رهيف.

ب - شكرًا صديقي. بالفعل روعة.

ج - شكرًا لكي على هذه الكلمات الروعة وانها احاسيس صادقة من قلب نبيل.

الإطراء + التعبير عن الاعتذار:

(١٦) - أ - أمسية شعرية رائعة. آسف لأنني لم أستطع الحضور.

٢, ٣ الأبنية التركيبيّة:

٢, ٣, ١ الأبنية التقريريّة:

تتنوّع الأبنية التقريريّة الحاملة للإطراء. فتأتي في شكل جمل اسميّة وأخرى فعليّة. وتلك الجمل بنوعيها قد تكون بسيطة تعبّر في الغالب عن الإطراء تعبيرًا مقتضبًا. وقد تكون مركّبة يشهد فيها التعبير عن الإطراء توسّعًا، ويترتّب على ذلك طول في الجملة.

الجملة الاسميّة البسيطة:

وهي التي تتكوّن من مسند إليه (المبتدأ) ومسند (الخبر) يأتيان لفظًا مفردًا أو مركّبًا من المركّبات الاسميّة (مركّبا نعتيّا/ إضافيّا...):

(١٧) ـ أ ـ روحك رشيقة.

ب ـ كلامك درر.

ج ـ هو ذوقك الراقي.

د ـ هنا صدق مشاعر.

هـ ـ لك عطر أشواقي.

و ـ لك العز كله.

ولا يعني بساطة الجملة قصرها دائمًا. فقد تجنح الجملة التي تعبّر عن الإطراء إلى الطول رغم كونها بسيطة. ومثل ذلك:

(١٨) ـ أ ـ كانت ندوة من أروع الندوات على جميع المستويات.

الجملة الاسميّة المركّبة:

وهي التي تحتوي على نواة إسناديّة فرعيّة، أي التي يكون فيها المبتدأ أو الخبر أو كلاهما مركّبا إسناديّا اسميًّا أو فعليًّا. ومن أمثلة ذلك:

(١٩) ـ أ ـ أنت تحسن الغناء.

ب ـ أنت تستحق كل كلمة مديح قيلت بحقك.

ج ـ ملاحظة دقيقة زانها الخلق وحسن تمرير الحجّة.

د ـ غمزة ذكية تختصر كلّ شيء.

وقد تطول الجملة الاسميّة، حين يبسط فيها المادح وجه الإعجاب ومبعث الإطراء. ومن أمثلة ذلك:

(٢٠) ـ أ ـ أنا سعيد بالنص؛ لأنه يعبر عن كينونة المرأة بكل ما تحويها من قيمة وقدرة وعنفوان وشموخ.

ب ـ تأتين بالحلو؛ لأنك الأحلى وبالجمال لأنك الأجمل.

الجملة الفعليّة البسيطة:

وهي التي خلت من نواة إسناديّة فرعيّة، لعدم مجيء فاعلها أو أحد متمّماتها في شكل مركّب إسناديّ اسميّ. ومن أمثلة ذلك:

(٢١) ـ أ ـ أبدعت.

ب ـ صح لسانك.

ج ـ سلم فكرك وحرفك.

د ـ يعجبني رسمك على الجدران.

هـ ـ أحب هذا النوع من الطعام.

و ـ دوماً تسعدنا بكتاباتك....

الجملة الفعليّة المركّبة:

وهي التي تحتوي على نواة إسناديّة فرعيّة.

(٢٢) ـ أ ـ يكفيك فخرًا وشرفًا أن قصيدتك في سيد الخلق.

ب ـ أبكيت عيني على غير ما تعرف من البكاء.

(٢, ٣, ٢) الأبنية التعجّبية:

وهي كثيرة الجريان في المدوّنة الفيسبوكيّة. ومن أكثر أبنية التعجّب استخدامًا في إنجاز الإطراء

التعجّب القياسيّ الذي تعبّر عنه صيغة: ما أفعله! ومن أمثلة ذلك:

(٢٣) ـ أ ـ ما أجمل تلك الكلمات!

ب ـ ما أروعك!

ج ـ ما أجمله مكان مع خير رفيق!

وهناك تعبيرات تعجّبية أخرى تخرج عن هذه البنية (المجموعة ٢٤). وقد يختصر هذا الأسلوب القياسي في التعجّب إلى صيغة مكثّفة (المجموعة ٢٥). وأحيانًا يقتصر الأمر على إصدار أصوات (المجموعة ٢٦):

(٢٤) ـ أ ـ الله عليك!

ب ـ يا لروعاتك ملكة الحرف!

ج ـ أي إبداع!

د ـ كم أنت مبدعة! عجيب!

ه ـ ما كل هذا الإبداع وتتواضعين!

(٢٥) ـ أ ـ جميل!

ب ـ رائع!

(٢٦) ـ أ ـ يااه!

ب ـ أوه!

ج ـ واااااو!

(٢, ٣, ٣) أبنية النداء:

وهي تنتشر بكثرة ومن أبرز أدوات النداء المستخدمة فيها "يا" و"أيّها". أمّا المنادى، فلا يشار إليه باسمه، بل بصفة من صفاته هي التي تحمل الإطراء:

(٢٧) ـ أ ـ أيها الجميل.

ب ـ يا أميرتي.

ج ـ يا محبوبتي.

(٢٨) ـ أ ـ أيها الشاعر المبدع.

ب ـ يا أخي الأنيق.

ج ـ يا حمامة السلام.

وكثيرًا ما يكون النداء مصحوبًا بفعل كلاميّ آخر قد يسبقه وقد يأتي بعده، شأن التعجّب (المجموعة ٢٩)، والدعاء (المجموعة ٣٠). وربّما رافق النداء أكثر من عمل (المجموعة ٣١).

(٢٩) ـ يا حديث الرحمة ما أجملك!

(٣٠) ـ دام فضلك ياعزيز.

(٣١) ـ حييت ودمت أيها الفنان الجميل والرقيق.

(٢, ٣, ٤) الأبنية الاستفهاميّة:

وهي تتّسم بتنوّع محتواها الدلاليّ. فقد يعبّر الاستفهام عن رغبة المتكلم في معرفة مصدر موضوع الإطراء (٣٢)، أو عن تعجّبه (٣٣). وقد يكون المعنى المعبّر عنه في بنية الاستفهام رغبةُ المادح في أن يعرف إن كان الممدوح على وعي بالإعجاب الذي يثيره (٣٤). ومن المعاني التي تعبّر عنها بنية الاستفهام المستخدمة في الإطراء الحيرةُ تعصف بالمادح، فيكاد يخرج من عقله، ولا يعرف تفسيرًا لما يثير إعجابه (٣٥).

(٣٢) ـ كيف لم أعرف هذه الأغنية الجميلة من قبل؟

(٣٣) ـ مَن علّمك هذه الطريقة الرائعة في الغناء؟

(٣٤) ـ هل أنت واع بهذا الصوت الجميل؟

(٣٥) ـ أ ـ ماذا أقول في كلماتك وقد بلغت في تصنيفها تصنيف الذهب والجواهر؟

ب ـ ماذا فعلت حتى تخرجنا من عقولنا؟

والجامع بين مختلف هذه الأمثلة أنّ الإطراء فيها غير مباشر، لأنّه تأذى عن طريق فعل كلاميّ آخر نعني الاستفهام. وما من شكّ في أنّ الممدوح يستعين في تأويل هذه الملفوظات الاستفهاميّة بما احتوت عليه من نعوت (جميل، رائع...)، هي من قبيل المؤشّرات الدالّة على القوّة المضمّنة في الملفوظ والمتمثّلة في الإطراء.

(٢, ٣, ٥) أبنية الأمر والطلب:

وهنا أيضًا يكون الإطراء عملًا غير مباشر، ويكون الأمر أقرب إلى النصيحة أو إلى الحثّ والحضّ. أمّا فحوى النصيحة فدعوة للممدوح إلى أن يحافظ على الموضوع الذي عليه مدار المدح (٣٦) أو إلى أن يعيد العمل الذي أثار به إعجاب الآخرين واستحقّ من أجله الإطراء والثناء (٣٧).

(٣٦) ـ أ ـ حافظْ على هذا الصوت فهو نعمة.

ب ـ كن كما أنت كالأسد ولا تخش أحدًا.

(٣٧) ـ أ ـ واصلْ على هذا النهج فهو سيحملك إلى النجومية.

ب ـ لديك موهبة دللها وطورها.

(٢, ٣, ٦) الأبنية الدعائيّة:

امتزاج الإطراء بالدعاء ظاهرة شائعة مردّها في تقديرنا إلى تلك الوظيفة السلبيّة التي أشرنا إليها، حين عرضنا لوظائف الإطراء والتي تتمثّل في شعور قد يداخل الممدوح مفاده أنّ المتكلّم تسكنه رغبة دفينة في الاستحواذ على تلك المفخرة التي أسندها إليه. فالدعاء في هذه الحال طريقة يُبدّد بها المادح ذلك الشعور الذي يمكن أن يحصل عند الممدوح. واقتران الدعاء بالإطراء لا يمكن فهمه إلاّ إذا جعلناه بسبيل من معتقدات العرب والمسلمين، واستحضرنا اعتقاد المسلم في قدرة العين الحاسدة على إلحاق الأذى بصاحب النعمة من جهة، وفي مفعول الدعاء ونجاعته في إبطال تلك القدرة من جهة أخرى. فالدعاء إذن أشبه بـ" فعل استباقيّ إيجابيّ يقوم به المتكلّم، حتّى يُشعر مخاطَبه بأنّه يُكنّ له الخير ويرجو له دوام النعمة، وأنّ عينه ليست مالحة، وحتّى يذكّره بلطف أنّ ذلك من فضل الله" (عبيد، ٢٠١٥: ١٤٢). فدعاء المتكلّم يعبّر عن ثقافة شائعة تخاف العين والحسد. وهو ما تُفصح عنه بوضوح هذه الأمثلة التي يتحوّل فيها الدعاء إلى ما يشبه الرُقية والتعويذة التي تقي من الشّر، للاعتقاد في أنّ لها مفعولًا سحريًا:

(٣٨) ـ أ ـ الله يبعد عنكم كل حاسد.

ب ـ ربي يكفيك عيون الحاسدين.

ج - الله يبعد عنكما شر الحساد من شياطين الإنس، والجان إذا حسد.

والدعاء تركيبيًّا قد يمتزج بالإطراء، فتكون الحصيلة جملة دعائيّة واحدة (٣٩) وقد ينفصل عنه، فتكون الحصيلة جملتين: جملة الدعاء وجملة الإطراء (٤٠).

(٣٩) - أ- دام نبض قلمك وفكرك.

ب - زادك الله فضلًا وعلمًا.

(٤٠) - أ- بارك الله فيك معلومات جدًا قيمة.

ب - حفظك الله تعالى أيها الفنان الكبير والجميل.

ج - لا عدمتك يا أجمل قلب في الكون.

(٤, ٢) ظواهر تركيبيّة:

(١, ٤, ٢) ظاهرة الحذف

وهي شائعة لا تستأثر بها الجملة الاسميّة، ولا الجملة الفعليّة. بل هي ممّا يطرأ على الجملتين، ولا تسلم منها أغلب مكوّنات كلّ منهما.

- حذف المسند إليه: يُعدّ المسند إليه في الجملة الاسميّة من أكثر المكوّنات عرضة للحذف. ويمكن تقدير المبتدأ المحذوف بـ: أنت، هذه، هذا.... وهو ما يظهر في الأمثلة الآتية:

(٤١) - أ- منوّر.

ب - فنان.

ج - كلام في الصميم.

د- جمال لا يوصف.

هـ- إطلالة نجمة.

- حذف المسند والمسند إليه: وهو ممّا تستأثر به الجملة الفعليّة. ومن أمثلته:

(٤٢) - أ- قبلة على جبينك (المحذوف: أطبع).

ب - شكرًا على الوصفات السهلة والعملية (المحذوف: أشكرك).

ج - إلى الأمام (المحذوف: سرْ).

(٢, ٤, ٢) ظاهرة التقديم والتأخير:

تكون مكوّنات الجملة الاسميّة أكثر عرضة لهذه الظاهرة. ومن أهمّ ما وقفنا عليه تقديم الخبر على المبتدأ:

(٤٣) - أ- موسوعة أنت.

ب - جميلة جدًا هذه الصورة فدوى... لغوية بامتياز.

ج - خيال كتاباتك.

د- سلطانة أنت سيدتي وتاج راسي.

ه- عميقة هذه الكلمات.

أمّا الجملة الفعليّة فالحالات التي عثرنا عليها تكاد تقتصر على تقديم المفعول فيه أو المفعول المطلق على النواة الإسناديّة. ومن أمثلة ذلك:

(٤٤) - أ- دائمًا تبدعين.

ب - كعادتك وعهدك تتألّق.

(٢ ,٤ ,٣) ظاهرة التكثيف:

نعني بذلك استخدام المُطري عددًا من الأدوات والمفردات تنضوي تحت ما يُصطلح عليه بالمكثّفات (Intensifiers)، وتكون الغاية من وراء استخدامها تقوية عمل الإطراء، حتّى يبدو صادقًا ولا يُحمل الإعجاب الذي يعبّر عنه محمل المجاملة والتملّق. وقد تنوّعت أساليب التقوية والتكثيف. وكان من بينها:

- **التكثيف باستعمال القسم:**

(٤٥) ـ أ ـ والله إنك صادقة يا قلبي.

ب ـ قسمًا بالله دمعت عيناي.

- **التكثيف باستعمال المفعول المطلق:**

(٤٦) ـ أ ـ صور معبرة جدًا.

ب ـ أنت بارعة فعلًا.

ج ـ عودتنا دائمًا على التميز والإبداع.

- **التكثيف باستعمال النعت:**

(٤٧) ـ أ ـ حروفك مليئة بالشهد والجمال اللامتناهي.

ب ـ معلومات في غاية الأهمية.

- **التكثيف باستعمال اسم "كلّ" الذي يفيد الشمول والاستغراق والتمام:**

(٤٨) ـ أ ـ تستحق كل الاحترام.

ب ـ كل التهاني وكل الأمنيات التي تليق بشخصك الكريم أيها الصديق العزيز.

ج ـ مقالاتك كلها درر لا يملّ منها.

التكثيف القائم على توظيف العدد:

(٤٩) ـ أ ـ تستحق مليون إعجاب.

ب ـ شكرًا بلا عدد.

ج ـ لو مكثت ألف عام بين الأوراق لن أجد قدرة على كتابة سطر واحد بهذه الجودة والأناقة الأدبية.

- **التكثيف القائم على الإشارة إلى بلد الممدوح:**

(٥٠) ـ أ ـ تسلمين بنت بلادي.

ب ـ ما أروعك حفيدة بلقيس.

ج ـ رائعة بنت المغرب.

التكثيف القائم على التكرار اللّفظيّ والمعنويّ:

(٥١) ـ أ ـ بديع بديع.

ب ـ سلمت وسلم انتقاؤك.

ج ـ سحرني أدهشني المنظر.

د ـ رهيييييييب.

هـ ـ رااااائع أنت يا أبا أسامة.

التكثيف باستعمال صيغة التفضيل:

(٥٢) ـ أ ـ أجمل ما قرأت اليوم.

ب ـ كلمات جميلة والأجمل طلتك الرائعة.

ج ـ أنيقة يا أحلى من الفراولة.

(٥٣) ـ أ ـ من أروع ما قرأت عن الحب والعشق.

ب ـ من أجمل النصوص.

ج ـ من أصدق الأشخاص.

التكثيف باستعمال أسلوب الحشد والتركيم:

(٥٤) ـ أ ـ أسعدت بالشعر والدهشة والجمال.

ب ـ دام نبض قلمك وفكرك وروحك.

ج ـ أميرة إبداع وحقوقية وصحفية.

د ـ نور وشعلة نشاط وإبداع بلا حدود.

التكثيف القائم على إعادة الحروف المكتوبة:

(٥٥) ـ أ ـ نووووورتي يادكتووووورة الإنسانية في زمن.....تعالت فيه ثقافة الوحوش...والقسوة.

ـ رائعة هي كتابتك أتمنى أن أقرأك في رواية.

ب ـ أوههههههههههه. قوة عظيمة.

ج ـ يااااااااارب ما تبلى هالطلة الجميلة.

ـ استعمال أكثر من مكثّف:

(٥٦) ـ بكل صدق قلمك رائع جدًا.

(٢ ,٥) التعابير الأسلوبيّة:

تحتوي الملفوظات الإطرائيّة على صور بلاغيّة غير قليلة لعلّها تشترك في سمة جامعة، ألا وهي المبالغة في التعبير عن الإعجاب بموضوع الإطراء. وهذه المبالغة تجري في صور أسلوبيّة مختلفة منها:

(١ ,٢ ,٥) التشبيه:

وفيه تكون العلاقة القائمة على الشبه والقياس صريحة تعبّر عنها أدوات التشبيه التي تكون في مقدّمتها كاف التشبيه، وتأتي بعدها ألفاظ أخرى نحو: مثل وكأنّ..، أمّا وجه الشبه فغير مذكور في الغالب.

(٥٧) ـ أ ـ مشرق كالصبح.

ب ـ جميل مثل قلبك تمامًا.

ج ـ كتابة أنيقة كأنت.

وربّما سقطت الأداة ليكون التشبيه مؤكّدا:

(٥٨) ـ أ ـ أنت نجم السماء.

ب ـ كلامك ذهب.

(٢ ,٢ ,٥) الاستعارة:

وهي تختلف من جهة أشكالها والموادّ التي تغرف منها بحسب موضوع الإطراء وثقافة المطري. والغالب على الملفوظات الإطرائيّة الاستعاريّة التمثّلات الاجتماعيّة السائدة والأفكار الرائجة، واستنادها إلى المواضع المشتركة وإلى خطابات سابقة يقوم المطري بإعادة تفعيلها وفق ما يخدم الفعل الكلاميّ الذي يريد تحقيقه نعني الإطراء. ومن الأمثلة التي يظهر فيها المطري مُستعينًا بمكوّنات تنتمي إلى ما يُعرف بالذاكرة الجماعيّة التي تتجسّد في عدد من الأمثال والقوالب الجاهزة والتعابير المأثورة:

(٥٩) ـ أ ـ قمر ١٤ ماشاء الله عليكي.

ب ـ شهد العسل.

ج ـ أصبت كبد الحقيقة.

وعلى خلاف ذلك، لم يخل عدد من الإطراءات المتبادلة بين المثقّفين والمبدعين والدائرة على موضوع الإبداع، من طرافة وابتكار. فنحن هنا أمام ملفوظات إطرائيّة يحاول مُنتجوها أن يجعلوها تحاكي المفخرة التي جاءت تُثني عليها، وترتقي إلى مستوى تصبح فيه إبداعًا على إبداع.

(٦٠) ـ أ ـ قائد أركان القوافي. احتراماتي جنرال الصليعي.

ب ـ ذوق طاعن في الجمال.

ج نسمع هدير إبداعك.

د ـ الإبداع يخجل بين يديك.

(٥ ,٢ ,٣)الكناية:

ومنها هذه التعابير التي لا يقصد معناها الحرفي:

(٦١) ـ أ ـ أرى درويشًا جديدًا (كناية عن الشعرية).

ب ـ كدت آكل أصابعي (كناية عن لذة الطعم).

ج ـ تحطيم نفسي (كناية عن عظمة العمل وعدم القدرة على مجاراته أو القيام بمثل ما قام به).

د ـ أنت نجم (كناية عن الشهرة).

(٥ ,٢ ,٤) الجناس مع اسم الممدوح أوصفته:

وهو أسلوب في الإطراء يعمد فيه المطري إلى أن ينشئ علاقة صوتيّة تقوم على المجانسة والتشابه الصوتيّين بين الممدوح والمفخرة التي هي موطن الإعجاب. وفي ذلك إشارة من بعيد إلى أنّ ثناء المطري على الممدوح، ما هو إلاّ اكتشاف شيء لصيق به، واستخراج مفخرة هي كالجبلّة فيه مجاراة للقول المشهور: "لكلّ امرئ من اسمه نصيب". ومن أمثلة ذلك:

(٦٢) ـ أ ـ أبيات جميلة يا جميلة.

أ- عالم يحتفي بعلماء.

ج ـ أنت وردة الوطن العربي يا وردة.

د ـ دائمًا سامية بأخلاقك يا سامية.

هـ ـ نور ساطع يا نور.

و ـ ذكرى لا تزول أيتها الذكرى.

(٥ ,٢ ,٥) التناصّ:

وهو ممّا يختصّ به المثقّفون في إطراءاتهم التي كثيرًا ما تحمل شيئًا من ثقافتهم ومحفوظهم، شأن القرآن الكريم والحديث الشريف ومشهور النصوص من الشعر والنثر. فمن أمثلة التناصّ القرآنيّ:

(٦٣) ـ أ ـ من روعة ما تبهجنا نشتاق لك كما اشتاق نبي الله يعقوب لولده يوسف عليهما السلام: تناصّ مع سورة يوسف.

ب ـ إطلالتك تسر الناظرين.. : تناصّ مع قوله تعالى: ﴿ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ البقرة: ٦٩ .

ج ـ منشور أبيض من غير سوء..: تناصّ مع قوله تعالى: ﴿ اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ﴾ القصص: ٣٢.

ومن أمثلة التناصّ الأدبيّ:

(٦٤) ـ أ ـ الأشقر يليق بك.

ب ـ الإنسانية تليق بك صديقي.

ج ـ الإبداع يليق بك..

فهذه الأمثلة الثلاثة مستلهمة من عنوان رواية الجزائريّة أحلام مستغانمي "الأسود يليق بك".

(٦٥) ـ أ ـ إنها ليلة التألق تأتيك الكلمات والصور طواعية ويتعب غيرك: تناصّ مع فحوى بيت المتنبّي الشهير:

أَنَامُ مِلْءَ جُفُونِي عَنْ شَوَارِدِهَا

وَيَسْهَرُ الخَلْقُ جَرّاهَا وَيَخْتَصِمُ ".

ب ـ احترت وأنا أقرأ قصيدتك للمرة العاشرة لقد أسمعت الأصم.. : تناصّ مع بيت شهير آخر للمتنبي من القصيدة نفسها:

""أَنَا الذي نَظَرَ الأَعْمَى إلى أَدَبِي

وَأَسْمَعَتْ كَلِماتي مَنْ بِهِ صَمَمُ""

وممّا جاء مُحاكيا لنصّ غنائيّ:

(٦٦) ـ زينك عاملْ حالَهْ: تناصّ مع أغنية تونسيّة مطلعها: "قالوا زيني عاملْ حالَهْ".

والتناصّ يكون أيضًا مع عبارات عامّية جاهزة:

(٦٧) ـ أبصم بالعشره على إبداعك.

الخاتمة

تناولنا في هذا البحث الإطراء بوصفه فعلًا كلاميّا انتبه الدارسون إلى ما فيه من أبعاد نفسيّة وعاطفيّة، ومن ثمّ وضعوه في صنف الأفعال الكلاميّة التي لا يريد القائل من وراء إنجازها إلاّ مجرّد الإفصاح عمّا بداخله من مش.اعر، مثل الإعجاب أو الفرح أو الأسى. وعلى الرغم من اتّصاف هذا العمل بذلك الطابع العاطفيّ وتجرّده ـ في المقابل ـ من البعد العمليّ، فإنّ له على المستوى التفاعليّ وزنًا ثقيلًا وأثرًا بليغًا، حتّى أنّ دارسًا مثل ليتش عدّه مِن بين الأفعال الكلاميّة التي تُدخل على عمليّة التواصل بهجة وتُضفي على التفاعل الجاري بين المتكلّم والمخاطَب مسحة من الودّ، وتُسهم - بالاستتباع -في تعزيز العلاقات بينهما. بل إنّ كربراط أوروكيوني اتّخذت من هذا الفعل الكلاميّ والأفعال القريبة منه مدخلًا إلى نقد منوال التأدّب عند براون وليفنسون، واعتبرته دليلًا على أنّنا مثلما نأتي في أثناء التفاعل بأفعال كلاميّة ـ شأن السؤال والنقد والاعتذار تحمل في طبيعتها خطرًا يهدّد عمليّة التواصل، ومن ثمّ تحتاج إلى تهذيب وتلطيف ـ نُنجز أفعالًا أخرى، مثل: الشكر، والتهنئة، والإطراء، تُعزّز ماء وجه المخاطَب وتُشعره بأنّنا نُعجب به، ونُثمّن أفعاله، ونسعى إلى إرضاء رغباته.

وكانت عودتنا إلى عدد من الدراسات التي أفردت للإطراء في ثقافات غربيّة مفيدةً، إذ وفّرت لنا إطارًا جيّدا قرّبنا من هذا الفعل الكلاميّ، وعرّفنا به وبالوظائف التي ينهض بها والأبنية التركيبيّة المتكرّرة التي يرد عليها والمواضيع التي يدور عليها والعوامل التي تؤثّر في إنتاجه وتلقّيه. ولعلّ أهمّ ما أفدنا به وخلصنا إليه من تلك الدراسات، الانتباه إلى تجذّر هذا الفعل الكلاميّ في الثقافة، رغم أنّه ظاهرة كونيّة. وهي حقيقة أردنا أن نقيم الدليل

عليها باقتفاء أثر الإطراء في العربيّة، حتّى نقف على سلوكه وكيفيّة جريانه في ساحة حيّة من أبرز ساحات الاستعمال التي ينتشر فيها إنجاز هذا الفعل الكلاميّ، نعني بذلك الفيسبوك موقعًا من أهمّ مواقع التواصل الاجتماعيّ يشجّع المشتركين فيه على التعبير عن مشاعرهم تجاه أصدقائهم، ويُغريهم بإنتاج الإطراء وتبادله فيما بينهم، إذ يخصّص مصمّموه خانات ونوافذ لإنتاج الإطراء والتعليق عليه.

وبالفعل، كان التنوّع غالبًا على سلوك هذا الفعل الكلاميّ الذي ألفينا إلى جانب الطرق المباشرة في أدائه، ملفوظات لا يتمّ التعبير فيها عن الإعجاب والاستحسان على نحو مباشر وصريح، ولا يفهم الممدوح العمل الإطرائيّ المضمّن فيها، إلاّ إذا جاوز ظاهر الملفوظ، وانتبه إلى أنّ وراء الفعل الكلاميّ الظاهر إطراء، وأنّ هناك تعبيرًا عن الإعجاب قد تستّر بالمجاز.

ومن مظاهر التنوّع في إنجاز هذا الفعل الكلاميّ أنّ المُطري لا يسلك سبيلًا واحدة في أدائه، بل تراه ينتج الإطراء في صورة بسيطة يستأثر فيها عمل الإطراء بالملفوظ، ويُنتجه أيضًا في صور مركّبة تجد فيها إلى جانب الإطراء أفعالًا كلاميّة أخرى تسبقه أو تأتي بعده، وتكون مُكمّلة له على النحو الذي يصبح فيه للملفوظ أفعال صغرى كالشكر، والاعتذار، والتعبير عن أمنية، وعمل جامع هو الإطراء قوّةً مضمّنةً في القول يجري الملفوظ إلى تحقيقها، مهما تعدّدت الأفعال الكلاميّة صلبه.

ولم تخل الملفوظات الإطرائيّة في مدوّنتنا من تنوّع، حين قلّبنا النظر في أبنيتها التركيبيّة، على خلاف ما بدت عليه أبنية الإطراء في الدراسات الغربيّة التي عرضنا لها في أوّل البحث من اقتراب إلى الصيغ المنمّطة، لنزوع العبارة والتركيب فيها إلى التشابه والتنميط. نعم، لقد وجدنا الملفوظ الإطرائيّ يأتي في قوالب من الجملة الاسميّة والفعليّة بنوعيها البسيط والمركّب. وعثرنا ـ إلى جانب الجملة الخبريّة التقريريّة ـ على أبنية إنشائيّة في منتهى التنوّع، شأن الأبنية التعجّبيّة والأبنية الاستفهاميّة وأبنية الدعاء وأبنية الأمر والطلب. ووقفنا في تلك الأبنية بمختلف أنواعها على ظواهر تركيبيّة شائعة، كالحذف، والتقديم والتأخير، والتكثيف، الذي تنوّعت أدواته، وكانت الغاية من استعمالها التمكين للإطراء وتقويته.

والتنوّع ملمح برز لنا عندما نظرنا في الأساليب التي يستعملها الناشطون على شبكة الفيسبوك للتعبير عن إعجابهم والتي تكون الغاية من وراء استخدامها المبالغة في الإطراء. أجل، لقد تضمّنت الملفوظات الإطرائيّة عددًا من الأساليب والصور البلاغيّة المتنوّعة، كالتشبيه، والاستعارة، والكناية، والجناس. وإذا كان حظّ المشترك والمبتذل في تلك الأساليب غير

قليل، فذلك لا ينفي وجود ملفوظات إطرائيّة اجتهد منتجوها في إحكام الصلة بين دوالّ الملفوظات الإطرائيّة ومدلولاتها، واستثمروا - بإحسان - محفوظهم ونصوص ثقافتهم أصواتًا تتعدّدُ وتتشابكُ صلب الملفوظ الإطرائيّ. ولا نستطيع أن ننهي خاتمة البحث، من غير أن نشير إلى أنّ هذه النتائج التي قادنا إليها البحث، تظلّ مرتهنة بـ"مجتمع الدراسة" الذي وقع اختيارنا عليه وأشرنا إليه في آخر الفقرة المعنونة بـ"الإطراء في مواقع التواصل الاجتماعيّ: الفيسبوك أنموذجًا". وما من شكّ عندنا في أنّ التعبير عن الإعجاب في العربيّة لن يحتفظ بتلك الملامح كلّها، لو اقتفينا أثر هذا الفعل الكلاميّ في مدوّنة أخرى غير المدوّنة الفيسبوكيّة. ولسنا على يقين أيضًا من أنّ سلوك هذا الفعل الكلاميّ لن يصيبه التغيّر، في حال احتفاظنا بالمدوّنة الفيسبوكيّة وإدخالنا في المقابل متغيّراتٍ على مجتمع الدراسة شأن المستوى اللّغويّ والاجتماعيّ لأفراد العيّنة ومتغيّر الجنس وغير ذلك من العوامل التي لا نشكّ في أنّ لها أثرًا في ملفوظات الإطراء، من حيث تراكيبها والأساليب المستخدمة فيها ومدى نزوعها إلى التنميط.

شكر وتقدير:

أُنجز هذا البحث بدعم من قبل مركز بحوث الدراسات الإنسانيّة، عمادة البحث العلميّ، جامعة الملك سعود.

قائمة المراجع

أ- المراجع العربيّة:

شاردودو (باتريك) بالاشتراك مع د. منغنو: *معجم تحليل الخطاب*، ترجمة عبد القادر المهيري وحمّادي صمّود، المركز الوطنيّ للترجمة، تونس، ٢٠٠٨.

عبيد (حاتم): *نظريّة التأدّب في اللّسانيّات التداوليّة*، عالم الفكر، العدد ١، المجلّد ٤٣، ٢٠١٤.

عبيد (حاتم): *أهمّية البعد الثقافيّ في تعليم العربيّة لغةً ثانيةً مِن وجهة نظر لسانيّة تداوليّة: نظريّة التأدّب أنموذجًا*، مجلّة اللّسانيّات العربيّة، العدد: ٢، ٢٠١٥.

ب- المراجع الأجنبيّة:

Brown, Penelope and Stephen Levinson, (1987): *Politeness: Some universals in language usage*. Cambridge University Press.

Daikuhara, M. (186): *A Study of Compliments from a Cross – Cultural Perspective VS*. American English WPEL: Working Papers in Educational Linguistics 2 (2).

Herbert, R. K. (1991) *The Sociology of Compliment Work: An Ethnocontrastive Study of Polish and English Compliments*. Multilingua 10(4).

Herbert, R. K. (1986): *Say 'Thank You' – or Something. American Speech,* 61 (1).

Holmes, J. (198Λa) *Compliments and Compliment Responses in New Zealand English.* Anthropological Linguistics 28(4).

Mizutani, O. & Mizutani, N. (1987) *How to be Polite in Japanese*. Tokyo: The Japan Times.

Pomerantz, A. (1978) *Compliment Response: Notes on the Cooperation of Multiple Constraints*. In: Schenkein, J. (ed.) Studies in the organization of conversational interaction. 79 – 112. New York: Academic Press.

Searle, John R. (Apr., 1976), *A Classification of Illocutionary Acts*, Language in Society Vol. 5, No. 1.

Tang, C. and Zhang, G.Q. (2009) *A Contrastive Study of Compliment Responses among Australian English and Mandarin Chinese Speakers*. Journal of Pragmatics 41.

Wolfson, N. (1983) *An Empirically Based Analysis of Complimenting in American English. In: N. Wolfson & E.* Judd (eds.), Sociolinguistics and Language Acquisition. Rowley, MA: Newbury House.

Wolfson, N. and J. Manes. (1980) *The compliment as a social strategy*. Papers in Linguistics, 13.

Holmes, J. (198Λb): *Paying Compliments: A Sex – preferential Positive Politeness Strategy*, Journal of Pragmatics, 12.

Kerbrat – Orecchioni, C. (1998): *Les interactions verbales*. T.3. Paris : Armand Colin.

kerbrat – orecchioni, C. (2003) : *Les actes de langage dans le discours : théorie et fonctionnement.* Nathan, Paris.

kerbrat – orecchioni, C. (2005) : *Le discours en interaction.* Armand Colin>

Leech, Geoffrey N., (1983): *Principles of pragmatics*. London: Longman.

Manes, J. (1983) *Compliments: A Mirror of Cultural Values*. In: Wolfson, N. and Judd, E. (eds.) Sociolinguistics and Language Acquisition. 96 – 102. Rowley, MA: Newbury House.